

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[314] (إِنَّ السَّادِّينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهِمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (1). هذا التعبير في الآية الكريمة يشير إلى أن ذكر الله تعالى يورث الإنسان بصيرةً في قلبه في حين أن الغفلة عن ذكر الله تمهد الطريق لنفوذ الشياطين إلى قلبه. "طائف" يعني من يطوف حول شيء معين، والمراد به كما ذكره جمع من المفسرين الكبار هو الوسواس الشيطانية التي تطوف حول قلب الإنسان لتتمكن من العثور على منفذ لها في كعبة القلب وتحول هذا القلب إلى معبد للأوثان، وعملية النفوذ هذه لا تتسنى لهؤلاء الشياطين إلا في حالة "الغفلة" عن ذكر الله، لأن الإنسان بمجرد أن يذكر الله تعالى فإن الوسواس والخطرات الشيطانية سوف تبتعد وتتلشى، ويتجلى حينئذ نور الحق أمام بصيرة الإنسان في حركته المنفتحة على الله والحق. -- "الآية الحادية عشر" تتحدث عن الغافلين الذين يعيشون حالة الغفلة والجهل المطلق إلى آخر عمرهم، ولكن عندما يحين أجلهم ويقعون في سكرات الموت ويرون بأهم أعينهم آثار أعمالهم السيئة حينئذ يعيشون الرعب والقلق الشديد، فيقال لهم حينئذ (لَسَقَدَ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (2). إن الآيات القرآنية هذه توحى بوجود ملكين يسطحبون الإنسان في عرصات المحشر، أحدهما يسوقه إلى محكمة العدل الإلهي، والآخر يحضر بعنوان الشاهد على أعماله، ويحتمل أن يكون هذان الملكان هما الذين كانا يسطحبان الإنسان في الحياة الدنيا ويكتبون أعماله الصغيرة والكبيرة، ففي القيامة يأخذان بيد المجرمين ومعهما كتابهما هذا إلى حيث المحكمة الإلهية الكبرى، ولكن هؤلاء المجرمين لم يكونوا يحسون بوجود هذين الملكين في الحياة الدنيا بل لم يكونوا يؤمنون بوجودهما بالرغم انهما يصحبون كل إنسان في هذه الحياة، ويوم القيامة حيث تراج الحجب وتزال الاستار وتنفث عين البصيرة يرى 1. سورة الأعراف، الآية 201. 2. سورة ق، الآية 22.